

التجديد في الحياة الرهبانية



أ. فضيلة بودراع

طالبة سنة سادسة دكتوراه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة مظاهر الحياة الرهبانية في المسيحية ومدى تجديد المسيحيين لهذه المظاهر وفق ما تتطلبه الحياة المعاصرة من تطورات. إن الحياة الرهبانية في المسيحية تعد أحد الخصائص التي طبعت بها حياة الكثير من المسيحيين عبر مختلف الأزمنة والعصور، وعليه جاءت هذه الدراسة للبحث عن مظاهر الحياة الرهبانية وأسسها التي بنيت عليها، ومعرفة ما إذا بقيت هذه المظاهر على حالها أم تغيرت، و تبيان مدى التجديد الذي لحق بهاته المظاهر مسايرة للحياة المعاصرة.

Abstract

This subject shows the aspects of the Christian monachism, and the modernization of the latter according to the requirements of the modern life.

The Christian monachism is one of the characteristics which marked the life of several Christians during several millenium, and this based on the Christian monachism, which lead to renewal of this research compared to the requirements of the current life.

مقدمة

بدأ العصر الحديث بتحولات فكرية، سياسية ودينية هامة، ومن أهم هذه التحولات في الجانب الديني ما قام به البابوات من إصلاحات في الكنيسة خاصة بعدما بدأ الفكر الفلسفي المادي يبعد الكثيرين في الغرب عنها، مما أدى برجال الدين المسيحي إلى محاورة العالم المعاصر والفكر الحديث ومعالجة القضايا المستجدة، ولكن المجمع الفاتيكاني الثاني قد دعا إلى التجديد في الكنيسة وذلك بالعودة إلى الجذور والانفتاح على العالم، ومن

جملة القضايا التي تناولها هذا المجمع ضرورة تجديد الحياة الرهبانية، وذلك للحاجة الماسة للإنسان المسيحي المعاصر إلى سد حاجاته الروحية من جهة، وتكييف الحياة الرهبانية وفق الحياة المعاصرة من جهة أخرى.

من هنا تكمن أهمية موضوع التجديد في الحياة الرهبانية في إطار الدراسات الدينية وعلاقتها بالواقع المعاش، خاصة في ضوء التطور والانفتاح الذي نعيشه، وكيف سايرت الحياة الرهبانية هذا التطور مع أنها قائمة على الحياة البسيطة والعزلة.

ضمن هذا الإطار يأتي بحثي هذا للإجابة عن السؤال الآتي:

- إلى أي مدى كان التجديد في الحياة الرهبانية ومظاهرها، وهل هذا التجديد كان في الأصول أم في الفروع؟، ويتفرع عن هذا السؤال مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما معنى الرهينة في المسيحية؟

- ما هي مظاهر الحياة الرهبانية؟

- كيف جدد المسيحيون الحياة الرهبانية وفق متطلبات حياتهم المعاصرة؟ أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع الرغبة في دراسة أحد أهم المعالم البارزة في الحياة المسيحية ألا وهي الرهينة وكيفية تعامل المسيحيين مع هذا النوع الخاص من الحياة الذي يعتمد على العزلة، في وقت لا تنفع العزلة معه في ضوء ما وصلت إليه البشرية من تطور.

أما الأهداف المرجوة من هذا البحث الوقوف على حقيقة ومظاهر الحياة الرهبانية عند المسيحيين، وكيفية تكييف هذه الحياة وفق واقعهم المعاش.

وقد وضعت خطة لهذا البحث، بدأت أولاً بالتعريف اللغوي والاصطلاحي للرهينة، ثم دراسة مظاهر الحياة الرهبانية المسيحية، بعدها بينت كيف عمل المسيحيون على تجديد هذه المظاهر في حياتهم المعاصرة.

أما عن الدراسات السابقة في الموضوع فتتمثل في الدراسات التي تتعلق بالرهبانية عموماً وأهم مرجع المجمع الفاتيكانى الثانى - دساتير قرارات بيانات - عن منشورات المكتبة البولسية الذي اعتمده في بيان التجديد في الحياة الرهبانية.

المبحث الأول: تعريف الرهبانية في اللغة والاصطلاح

• المطلب الأول: الرهبانية في اللغة

كلمة رهبانية في اللغة ارتبطت بمعاني الخوف والتبتان والزهد والرهبة،

فتأتي بمعنى الخوف، فأصلها من الرهبة، يقال رهب يرهب رهبة أي خاف⁽¹⁾. والراهب الخائف، كما يطلق على المترهب في الأماكن الخاصة المتخذ طريقة الرهبان، وعند النصارى من تبتل لله واعتزل الناس إلى بعض الأديرة طلباً للعبادة⁽²⁾.

الرهينة اسم من معنى الراهب، قال ابن الأثير: «هي من رهينة النصارى، قال: وأصلها من الرهبة أي الخوف، كانوا يترهبون بالتخلي عن أشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها والعزلة عن أهلها وتعمد مشاقها، حتى أن منهم من كان يخصي نفسه ويضع السلسلة في عنقه، وغير ذلك من التعذيب⁽³⁾. والرهبانية: هي طريقة الرهبان من المسيحيين، وهي منسوبة إلى الرهينة بزيادة الألف، وأصلها من الرهينة ثم صارت إسماً لما فضل عن المقدار وإفراط فيه⁽⁴⁾.

أما الرهينة في اللغات اللاتينية فهي من كلمة (monachisme) باللغة الفرنسية، وأصلها باليونانية (monos) والتي أصبحت في اللاتينية (monachus)، والتي تنقسم إلى قسمين (monos) وتعني الوحيد أو بمعنى أدق العازب، وهي أحد صفات الراهب الذي يختار هذه الحياة، والثانية (isme) وتعني المنهج وتطلق أيضاً على النظام أو الفكر⁽⁵⁾.

وعليه فقد عرف الأنبا غريغوريوس الراهب بأنه الخائف من الله، وتأتي بمعنى المتوحد الذي ينفرد بنفسه الذي يعتزل الناس ليحيا منفرداً من غير زوجة ولا أولاد بعيداً عن المجتمع⁽⁶⁾.

• المطلب الثاني: تعريف الرهبانية في الاصطلاح

إن غالبية التعريفات الاصطلاحية للرهبانية جاءت بناء على المعنى اللغوي، وإن لم يكن هناك اتفاق بين المسيحيين في تحديد مفهوم واحد للرهبانية، فقد عرفها بطرس البستاني بأنها: «الاعتزال عن الدنيا وأمورها العادية لإشغال

(1) ابن منظور: لسان العرب، (دم: دار المعارف، ط، 1989م)، ج1، ص1748.

(2) بطرس البستاني: محيط المحيط، (بيروت: مكتبة لبنان، ط، 1977م)، ج8، ص354.

(3) ابن منظور: مصدر سابق، ص1748.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص1748.

(5) *Nouveau petit Larousse*, (Paris: librairie Larousse, 1970), p.665.

(6) غريغوريوس: موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج3، ص50.

النفس بالعبادة وبالأشياء الدينية»⁽¹⁾، كما جاء تعريفها بأنها نذر التبتل إلى الله مع اختيار الفقر طوعا واعتزال العالم للتعبد⁽²⁾.

ومن العلماء من عرفها بأنها حياة جماعية أساسها النذور الثلاثة: نذر الطاعة لرئيس الدير، ونذر الفقر، ونذر البتولية، ولا تقتصر على الرجال فقط بل يشمل النساء أيضا، عرفت في البوذية واللامائية قبل المسيحية، وكان الرومان يرغمون العذارى على عدم الزواج لكي يكرسن حياتهن لخدمة النار المقدسة⁽³⁾، وهذا التعريف يعد الأكثر دقة والأشمل من حيث تحديد المظاهر الأساسية لهذه الحياة المتمثلة في الفقر والبتولية والطاعة، وعليه فالرهبانية تبدأ بالانعزال عن الدنيا ولذاتها والتفرغ للعبادة، للوصول بالروح لأسمى كمالاتها وتكون النذور الثلاثة من طاعة وفقر وتبتل أهم أساساتها.

المبحث الثاني: مظاهر الحياة الرهبانية

تتجلى مظاهر الحياة الرهبانية عند المسيحيين في النذور الثلاثة المتمثلة في نذر الطاعة والفقر والبتولية، وكذلك العزلة والصمت واللباس الخاص بهم.

• المطلب الأول: النذور الثلاثة

تعد النذور الثلاثة من أبرز مظاهر الحياة الرهبانية عند المسيحيين، بل وتشكل الأساس الذي تقوم عليه هذه الحياة، فلا تكون إلا بوجود هذه النذور.

فرع (1) • نذر الفقر

التجرد والفقر أحد النذور الرهبانية التي ينبغي أن يمارسها كل راهب اختار هذه الحياة، فكلما تجرد من أمور هذا العالم وعاش الفقر والعوز غمره سلام روحاني، فاهتمام الراهب يكون شيء واحد وهو ملكوت الله⁽⁴⁾.

(1) بطرس البستاني: مصدر سابق، ج8، ص688، أنظر أيضا: رؤوف حبيب: تاريخ الرهبنة والديرية في مصر (مصر: مكتبة المحبة، دط، دت)، ص19، أنظر أيضا: حكيم أمين: دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية (القاهرة: در، 1963)، ص01.

(2) لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية (دم: در، ط2، 1922)، ج2، ص95.

(3) مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة: دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، دط، دت)، ص882.

(4) زكريا السرياني: بركات الحياة الرهبانية، مراجعة الأنبا متاؤس، (مصر: مطبعة أمبريال عابدين، دط، 2008)، ص168-169.

ونذر الفقر هو التجرد الاختياري من جميع الممتلكات في العالم تفضلا لا احتقارا لما هو أفضل عند الله، ولهذا يعد الفقر أحد النسك التي يجاهد بها الراهب نفسه في الحياة الرهبانية، فالتجرد من الملكية يصد نزعة الأنانية في التملك ليتحرر من عالم الماديات ويملاً حياته بالروحانيات⁽¹⁾.

فالفقر بالنسبة للراهب واقعا اجتماعيا وذلك بالتجرد عن الملكية، وواقعا معنويا وأخلاقيا بالعيش حياة الفقراء والإحساس بهم، كما له معنى روحيا إذ أنه يمثل نسك تقشفي، أي أنه جزء من الجهاد النسكي الذي يخوضه الراهب في حياته، كما أن للفقر وجه صوفي يصل إلى درجة أعلى من النسك وهي التأمل والمعرفة⁽²⁾.

فالراهب عند تجرده بالفقر تكون عودته أكثر إلى الله، فالحياة الروحية كلما قلت التعزيزات البشرية فيها زادت التعزيزات الإلهية، لأن تجريد الذات أو كما يسميه الآباء «العري» له أهمية كبرى في وجود الله⁽³⁾.

والهدف من هذا التجرد حتى لا يبقى للرهبان أي ارتباط دنيوي، ويرجع المسيحيون نذر الفقر إلى استنادهم بالنصوص الكتابية نذكر منها ما ورد في إنجيل متى: «إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعالى واتبعني... وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية»⁽⁴⁾.

وقد انتقد نذر الفقر من أوجه عدة منها:

- أن المقصود بالفقر الذي دعا إليه المسيح كان حبا للمحرومين وإغناء للفقراء، كما ذكر هوكارت وليس معناه التخلي عن كل شيء كما فهمه الراهبان⁽⁵⁾.

- لا يوجد ما يدل على أن الأوائل قد التزموا الفقر على أنه نذر كما يفعله

(1) راهب من برية شهيت: جوهر الحياة الرهبانية، مراجعة الأنبا إيسوذورس، (مصر: دار نوبار للطباعة، ط1، 2001)، ص140.

(2) أندره سكريما: أصول الحياة الروحية، ص34-35.

(3) أندره سكريما: مرجع سابق، ص35-36.

(4) إنجيل متى إصحاح 19: 21.

(5) أندره سكريما: مرجع سابق، ص37.

الرهبان، لأن تقنين الفقر لم يكن إلا في الرابع على يد القديس باسيليوس في القرن الرابع، فهو الذي وضع شرعة الفقر الأساسية لرهبان الشرق والغرب ضمن الحياة المشتركة، فالمنقول عن الأفراد الذين تخلو عن ممتلكاتهم تدبنا في القرن الثالث من غير نذر صريح، لأنه بهذا العمل التجريدي تبدأ حياتهم الرهبانية، فكان افتقار الذات أول عمل يقوم به طالبوا الترهّب في ذلك الحين، وكان الفقر في نظرهم الفضيلة العظمى في وسط العالم الروماني الفاسد بالغنى آنذاك⁽¹⁾.

- إذا كانت الجماعات الرهبانية تلزم الراهب على الافتقار وذلك بالتخلي عن أملاكه، فهذا الفقر لم تكن تعيشه الجماعات الرهبانية التي كانت تملك الأموال الطائلة ولا تزال هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا كان الفقر عندهم هو التخلي عن الدنيا فكيف بالأديرة تخطط من أجل الربح، فقد أصبحت الأديرة في القرون الوسطى في الغرب من أغنى المؤسسات⁽²⁾.

فبعد أن كانت الحياة الرهبانية مبنية على الفقر وترك الدنيا بما فيها، أصبحت الأديرة من أغنى المؤسسات الدينية المسيحية، كما أن هذا النذر قد انتقد على أساس التقشف وقهر الحسد والامتناع عن الأطعمة والمتع المشروعة التي خلقها الله للإنسان لينعم بها ويشكر الله عليها⁽³⁾.

فرع (2) • نذر العفة أو البتولية

البتولية هي الانقطاع لله والتفرغ لخدمته، ومنه عدم الزواج بالنسبة للراهب لأنه تفرغ لناحية أخرى⁽⁴⁾.

فالبتولية ليست عدم ممارسة العلاقات الجنسية فحسب، فالبتولية الرهبانية ليست وضعاً خارجياً بل هي حالة للطهارة الداخلية القلبية، وهي تعد في نظر الراهب غاية في حد ذاتها، بل هي وسيلة يرتقي بها إلى شيء أعظم⁽⁵⁾.

(1) أندره سكريما: مرجع سابق، ص 37-38.

(2) محمد بن أحمد الدنكير: الرهبانية عند النصارى، دراسة نقدية في ضوء الإسلام، إشراف عبد الله حسن علي بركات، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى بالسعودية، ص 192.

(3) حنين عبد المسيح: بدعة الرهبنة، (دم: در، ط 1، 2009)، ص 14.

(4) الأنبا غريغوريوس: مصدر سابق، ج 3، ص 17.

(5) أندره سكريما: مرجع سابق، ص 29.

فالرهبنة بنيت على أساس مبدأ التبتل، وهذا الأخير فهم في بادئ الأمر على أنه عدم الزواج، فعدم الزواج جزء من عملية التبتل، لكن ليست هي كل التبتل لأنه في نظر الرهبان أن ينقطع كلياً لله ويكون طاهراً ومقدساً جسداً وروحاً، والراهب بنذره التبتل وكأنه يهب حياته كلها لله⁽¹⁾.

إن الراهب يعتقد بأن مثال بتوليته هي بتولية العذراء مريم والأم معاً، وأن غايته في هذه البتولية هي إعادة وحدة الطبيعة الإنسانية وكمالها، ولأن كمال الإنسان أن يجمع ذاته في الله فكذلك البتولية تجمع الإنسان نفساً وجسداً في حب الله⁽²⁾.

فالرهبان الأوائل كانوا يلتزمون البتولية أمثال أنطونيوس ومقاريوس... غيرهم، فهي صفة ملازمة للرهبان عبر التاريخ⁽³⁾.

غير أن نذر البتولية لم يكن مقنناً في البداية، وفي القرن الرابع الميلادي أصدر مجمع «الفيرا» في إسبانيا قراراً بتحريم الزواج والابتعاد عن كل شهوات الجنس على كبار رجال الكنيسة، وفي القرن الحادي عشر أصبح هذا النذر بصورة مقننة بعدما أصدر البابا «جريجوار السابع» أمراً بوجوب العزوبة وتحريم الزواج على جميع الرهبان والقساوسة دون استثناء⁽⁴⁾.

وقد لاقى هذا القرار معارضة شديدة في بادئ الأمر من طرف الكثير من المناطق المسيحية، غير أنه لم يكفد ينتهي القرن الثالث عشر حتى كان نظاماً مقرراً في الكنيسة الكاثوليكية ونظاماً مطبقاً على جميع الرهبان والراهبات من النساء⁽⁵⁾.

ومن جملة ما يستدل به المسيحيون على نذر البتولية في العهد الجديد ما ورد في إنجيل متى ما قاله المسيح عليه السلام للتلاميذ الذين سألوهم أفضلية ترك الزواج ما دام لا يجوز الطلاق: «قال له تلاميذه إن كان هكذا أمر الرجل مع

(1) الأنبا غريغوريوس: مصدر سابق، ج3، ص18.

(2) أندره سكريما: مرجع سابق، ص30.

(3) متى المسكين: الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار (مصر: مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط4، 2006)، ص141.

(4) علي عبد الواحد دافي: غرائب النظم والتقاليد والعادات، (مصر: دار نهضة مصر، دط، 1984)، ص277.

(5) المرجع نفسه، ص277.

المرأة فلا يوافق أن يتزوج فقال لهم: ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطي لهم لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل»⁽¹⁾.

فالبتولية الكاملة في اعتقاد الرهبان هي الحكمة الكاملة بالنسبة للإنسان، والزنا هو الذي يرمز إليها في الزي الرهباني، وكأنه مشدود في الوسط ليمنع هذه الحكمة من الانحدار من المنطقة العليا إلى المنطقة السفلى، وبهذا مات البتول عن المنطقة السفلى وقام فنال بداية عدم الفساد⁽²⁾.

والواقع أن الحكمة لا تأتي بالبتولية بل ربما تكون سببا في الفساد بانتشار الزنا في المجتمع، وهم بذلك يسدون باب الذرية التي يمكن أن تكون صالحة تعبد الله وتقده⁽³⁾.

هذا وقد انتقد البروتستانت نذر البتولية على أنه من المبادئ المنافية لتعاليم الكتاب المقدس، ففي بدء الخليقة عندما خلق الله آدم قال: «ليس جيدا أن يكون آدم وحده فأصنع له معينا نظره... فأخذ واحدة من أضلاعه وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم... وباركهم الله وقال لهم أنثروا وأكثروا واملئوا الأرض»⁽⁴⁾. فالذي وضع شريعة الزواج للإنسان هو الله وباركه بإعطائه القدرة على التناسل عن طريق العلاقة الزوجية، فهذه هي تعاليم المسيحية المدونة في الكتاب المقدس⁽⁵⁾.

فرع (3) • نذر الطاعة

يقصد بنذر الطاعة التزام الراهب طاعة رئيسه وإخوته متنازلا عن إرادته الذاتية حتى الممات⁽⁶⁾. ونذر الطاعة لم يظهر بصورة مقننة إلا مع ظهور الأديرة، وإن كانت موجودة في مرحلة التوحيد لكن تحت ما يسمى بـ«الإرشاد

(1) إنجيل متى إصحاح 19: 11-12.

(2) أندره سكريما: مصدر سابق، ص 32.

(3) أحمد علي عجيبية: الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط 1، 2004)، ص 14.

(4) سفر التكوين إصحاح 2: 18، 21-22.

(5) حنين عبد المسيح: مرجع سابق، ص 14.

(6) أندره سكريما: مصدر سابق، ص 40.

الروحي»، وكان ذلك مع متى المسكين الذي يعد النواة الأولى لامتداد الطاعة المطلقة لرئيس الدير⁽¹⁾، وهذا التنظير والتقنين الذي أقره آباء الكنيسة جاء بناء على أساس المبالغة في تعظيم الرهبان لرؤسائهم في الحياة الرهبانية وطاعتهم التي كانت من أوائل القيم بل إنها من أعلى الفضائل⁽²⁾.

فالطاعة التي يعمل بها الراهب في اعتقاده بأنها لا تنحصر في تنفيذ أوامر رئيس الدير، بل بطاعته يتصور معها المسيح الطائع، كما أنها تساعده على تحرير النفس من عبودية الذات⁽³⁾.

وهكذا فإن مبدأ نذر الطاعة في اعتقاد الراهب هو أن يعطي حريته عطاء كلياً نهائياً حتى ينالها من جديد في المسيح، فيكون بذلك قد حقق حريته حقاً، وبذلك انعتق من إرادته الفاسدة⁽⁴⁾.

والخضوع لرئيس الدير من القوانين التي كانت مدونة في قانون الأديرة، نذكر منها ما دُون من قانون الآباء الثاني في أحد الأديرة الغربية في حدود عام 427-428 م ما نصه: «نتقي ونحب في كل شيء الذي وضع رئيساً بحكم الله وبرسم كهنوتي، سنطيعه بالحق لأن الذي يحتقره فإنما يحتقر الله... ولذا فبدون إرادته لا أحد من الأخوة يصح شيئاً، لا يأخذ ولا يعطي ولا يذهب إلى مكان ما من غير أمره»⁽⁵⁾.

أما أدلة نذر الطاعة على ما ذكر معجم اللاهوت الكاثوليكي فهي أقل النذور أدلة في نصوص العهد الجديد، ويعتمدون في تقرير هذا النذر طاعة المسيح ﷺ لربه⁽⁶⁾، لما جاء في سفر يوحنا: «لأنني قد نزلت من السماء ليس لأعمل

Groupe des auteurs: *Dictionnaire de Théologie Catholique*, (Paris: librairie Litouzey et Ané, 1946), tome 15, p.3258-3264. (1)

Ibid., tome 15, p.3260. (2)

راهب من برية شهيت: مصدر سابق، ص 133. (3)

أندره سكريما: مصدر سابق، ص 44. (4)

Vincent Desprez, Adalbert de Vogüé: *Règles Monastique d'Occident IVe-VIe siècle*, (Bégrolles-en-Mauges: Abbaye de Bellefontaine, 1980), p.110. (5)

Groupes des auteurs: *Dictionnaire de Théologie Catholique*, tome 15, p.3258. (6)

مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني»⁽¹⁾.

ومنها أيضا ما جاء في لزوم إتباع المسيح، وغيرها من النصوص العامة التي وردت في شأن الطاعة، سواء في المسيح لربه أو في لزوم إتباع المسيح وطاعته، ومن ذلك طاعة الرؤساء، فالطاعة هي الأساس في الاختبار الأول للراهب قبل دخوله في الحياة الرهبانية.

فطاعة رئيس الدير عند الرهبان طاعة مطلقة ومقدسة إلا إذا تعارضت مع «أوامر الرب» كما نصت على ذلك بعض القوانين⁽²⁾.

• المطلب الثاني: العزلة

تعد العزلة من أهم مظاهر الحياة الرهبانية بل هي أحد أسسها، لذلك عرف الأنبا غريغوريوس الرهينة على أساسها بأنها «عزلة عن الناس وعكوف على الصلاة العميقة بلا انقطاع، والعبادة الحارة والقراءة والدرس والتأمل»⁽³⁾، فالعزلة هي الابتعاد عن الناس جسدا وفكرا وهي الوحدة والخلوة بالله لتتسع آفاق النفس والقلب والفكر⁽⁴⁾، والاعتزال إما أن يكون كاملا كعزلة المتوحدين، أو نسيا كحياة شبه التوحدية في الأديرة.

وكان الاعتزال قوام نظام الرهبان الأوائل المتوحدين يختارون الكهوف في الجبال والصحاري مكانا لهم لممارسة حياة التنسك، غير أنهم وجدوا أنفسهم في أماكن بعيدة تحفها المخاوف والأخطار وتكاد تكون خالية من موارد الغذاء، حتى أن الرهبان البادئون في حياة الرهينة، منهم من تعرض لأزمات نفسية عنيفة أدت ببعضهم إلى الجنون، هذا مما أدت إلى التفكير في التخفيف من حدة العزلة إلى التفاف حول الشخصيات الكبرى من الآباء الروحانيين ليتلمذوا على أيديهم ويساعدوهم في التغلب على مختلف الأزمات وهذه الجماعات كانت هي النواة الأولى لحياة الرهينة الجماعية وعرفت فيما بعد

(1) سفر يوحنا إصحاح 6: 38.

(2) Adalbert de Vogüé: *Le Monachisme en Occident Avant Saint Benoit*, (Bégrolles-en-Mauges: Abbaye de Bellefontaine, 1998), p.16.

(3) البستاني: مرجع سابق، ج8، ص688، انظر أيضا: الأنبا غريغوريوس: مصدر سابق، ص51.

(4) الأنبا يؤانس: مذكرات في الرهينة المسيحية (دم: در، دط، دت)، ص23.

بالديرية⁽¹⁾.

وكما كانت الوحدة التامة في الرهبانية الشرقية قد أحدثت إشكالات تدخل مجمع ترولو (Trullo) عام 692م ومنع العزلة التامة على الرهبان إلا إذا قضوا ثلاث سنوات في الدير وسنة في وحدة تامة، بعدها يسمح للراهب بذلك في حالة إصراره على ذلك بشرط إذن رئيس الدير وأسقف المنطقة ولا يسمح له بالخروج مطلقا إلا في حالة الضرورة حتى أنهم وضعوا لذلك عقوبات على ذلك، هذا ما اتخذته أيضا الكنيسة الغربية في مجمعي توليد (Toledo) في الأندلس عام 646م⁽²⁾.

وعليه فمبدأ اعتزال العالم للتعبد من الأمور الأساسية في حياة الرهبانية وفلسفة الاعتزال يرجعها المسيحيون إلى ما في الكتاب المقدس عندما قال الله لإبراهيم: «أخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك»⁽³⁾⁽⁴⁾.

كما يستدل أنصار الحياة الرهبانية على مبدأ الاعتزال بأدلة من العهد الجديد، نذكر منها اقتدائهم بالمسيح عليه السلام ما جاء في إنجيل مرقس: «وبعدما ودعهم مضى إلى الجبل ليصلي»⁽⁵⁾.

هذا ويمثل يوحنا المعمدان في العهد الجديد مثال الراهب الذي يقال عنه: «وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل»، وكذلك اعتبار اختلاء بولس في صحراء العرب قدوة للرهبان في اختيارهم لحياة العزلة حيث الهدوء الذي يساعدهم على معرفة ذواتهم وتقويمها لأجل الوصول إلى المكاشفات الروحية التي تعد من فوائد حياة الاعتزال التي يسعى إليها الرهبان في عزلتهم وهو ما يسمى بالثيولوجيا أو الرؤيا الإلهية أو الرؤيا الطوباوية⁽⁶⁾.

هذا وقد انتقد مبدأ الاعتزال على أنه ضد الطبيعة البشرية التي تجعل منه

(1) رؤوف حبيب، مرجع سابق، ص 39-41.

(2) Groupes des auteurs: *Dictionnaire de Théologie Catholique*, tome 1, p.1139.

(3) سفر التكوين إصحاح 18: 4-1.

(4) الأنبا غريغوريوس: مصدر سابق، ص 27.

(5) إنجيل مرقس إصحاح 6: 36.

(6) الأنبا غريغوريوس: مصدر سابق، ص 29-30.

كائنا اجتماعيا، كما أن هذا المبدأ يخالف تعاليم المسيح، ذلك لأنه كان يدعوا أتباعه للاندماج في المجتمع وإصلاحه كما يصلح الملح الطعام، لا اعتزال الناس والهروب من العالم⁽¹⁾، كما جاء في إنجيل يوحنا: «لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير... كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم»⁽²⁾.

• المطلب الثالث: الصمت

يشكل الصمت أحد مظاهر الحياة الرهبانية، ويقصد به الامتناع عن الكلام، وهو على صعيدين، على صعيد حياة الشركة يدل على أوقات الصلاة، وإن كان على صعيد الحياة الشخصية وحياة القلاية (الدير) يقصد به أن يتكلم الرهبان أقل ما يمكن لاجتناب خطر الانزلاق في الكلام البطال وإلى إدامة الآخرين... إلخ⁽³⁾.

والصمت ليس من الأمور الواجبة على الرهبان في جميع الأديرة، وإن كان هو الطابع العام حتى أنه مم أثر عنهم أن «قلة الكلام أم الفضائل جميعا»⁽⁴⁾، حتى أنه لا يكاد يخلو قانون ديري من فصل مخصص للصمت، فقد جاءت القوانين تتحدث عن الصمت كما هو في قانون باخوم: «فلا يتكلمن أحد وهو يعجن في المساء وكذا المكلفين بالطهي ولا الذين في الحراثة في الصباح، ولكنهم يتلون جماعة حتى ينتهوا من العمل، وإذا احتاجوا لشيء فلا يتكلمون ولكن ليضربوا بعقل»⁽⁵⁾، وقد وصلت المبالغة في ذلك إلى حد استعمال لغة الإشارة التي أحدثها الرهبان في القرن العاشر للميلاد كما هو حال دير جماعة السيسترسيات، حيث كان لهم 35 إشارة تتعلق بالطعام و37 إشارة تتعلق بالتعامل مع الأشخاص وأخرى للباس والصلوات وغيرها، ولكل دير لغته في

(1) حنين عبد المسيح: مرجع سابق، ص 13.

(2) إنجيل يوحنا إصحاح 17: 15-18.

(3) أندره سكريما: مصدر سابق، ص 160.

(4) Léo Moulin: *La Vie Quotidienne Des Religieux Au Moyen Age: X^e-XV^e siècle*, (Paris: Hachette, 1978), P.54-55.

(5) Vincent Desprez: *Le Monachisme Primitif Des Origines Jusqu'au Concile d'Ephèse*, (Bégrolles-en-Mauges: Abbaye de Bellefontaine, 1998), P.253.

ذلك غير أن هذا الأصل في التعامل اندثر في القرن الثامن للميلاد⁽¹⁾. وجاء في بعض قوانين الدير بأن جعلوا الصمت في أوقات محددة من الصلاة، كصلاة كمبلي Complies والتي هي بعد الغروب، وكذلك صلاة بريم Primes والتي في 7 صباحاً كما هو مكتوب في قانون الكريمليين المكتوب في بداية القرن الثالث عشر للميلاد⁽²⁾، حتى أنه في بعض الأديرة جعلوه من النذور بعد النذور الثلاثة كما هو الحال في أديرة Fonterault في القرن الثالث عشر للميلاد التي تعمل بالقانون البنديكتي⁽³⁾، وقد استدل الرهبان على التزام مبدأ الصمت ما جاء في العهد القديم «كثرة الكلام لا تخلو من معصية أما الضابط لشفتيه فعاقل»⁽⁴⁾، وكذلك من العهد الجديد ما جاء في إنجيل متى: «ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعصون فيها حساب يوم الدين»⁽⁵⁾.

• المطلب الرابع: اللباس

يمثل اللباس الذي يرتديه الراهب أحد المظاهر التي يتميز بها عن غيره من الناس، ويكتسب هذا اللباس أهمية كبرى لأنه يعد من الشعائر الأساسية لمن سلك حياة الرهبانية.

ويطلق الأرثوذكس على اللباس «الإسكيم الرهباني»، وهي كلمة يونانية وتعني الوجه، وهي تشير إلى قطعة لباس خاصة يلبسها الراهب إشارة منه إلى استغراقه في الحياة الرهبانية⁽⁶⁾.

وتعرف الحياة الرهبانية في التراث الأرثوذكسي ثلاث درجات:

Ibid., P256. (1)

Albert patriarche de Jérusalem: *Règle Primitive de l'Ordre du Carmel*, P3, http://www.carmelitaniscalzi.com/activos/texto/wcarne_informacion_adicional_1069-rjZzeCkEylFnJmg.pdf. (2)

Frédéric Auguste Lichtenberger: *Encyclopédies des Sciences Religieuses*, (Paris: G.Fischbacher,1881),tome 11, P.244. (3)

سفر الأمثال إصحاح 10: 19. (4)

إنجيل متى إصحاح 12: 36. (5)

توما بيطار: القاموس المختصر للمفردات الرهبانية، (لبنان: عائلة الثالوث القدوس، د.ط، د.ت)، ص 02. (6)

الدرجة الأولى: بعد فترة اختبار يصير طالب الرهينة مبتدئا، ويعطى لباس الجبة الرهبانية، ولبس الجبة يأخذ البركة فقط ولا يؤدي أية نذور.

الدرجة الثانية: هي الإسكيم الصغير، وفي هذه المرحلة يصبح المبتدئ راهبا ويؤدي النذور الثلاثة المتمثلة في الفقر والعفة والطاعة⁽¹⁾.

وفي هذه المرحلة يلبس الإسكيم الصغير ويتكون من منطقة (حزام من الجلد)، يتمنطق بها الراهب عند بدء رهبنته لتساعده على النشاط والصوم وعمل الميطانيات (الركعات والسجادات) أي الإجهاد في الخدمة والعبادة والقلنسوة التي تغطي رأسه تشير إلى روح البساطة وبها 12 صليبا وترمز إلى الفضائل الإثني عشر التي يجب أن يتحلى بها الراهب وهي الإيمان والرجاء والمحبة والطهارة والبتولية والسلام والحكمة والبر والوداعة والصبر والاحتمال والنسك (الزهد) وأما الطرحة التي تتدلى منها فهي تشير إلى طرح الراهب العالم وراء ظهره⁽²⁾.

الدرجة الثالثة: هي الإسكيم الكبير، وفيها يجدد الراهب على نحو أعمق نذور الرهبانية التي أداها في الإسكيم الصغير ويبلغ الدرجة الرهبانية الأسمى⁽³⁾.

فعندما يبلغ الراهب درجة عالية من النسك يوهب له الإسكيم وهو عبارة عن قطعة من الجلد المصنوع من صنفين به 12 صليبا رمزا للفضائل، وعندما يلبسه الراهب يحيط بصدره وظهره وله طقس خاص بصلوات كثيرة ويرشم أب الدير الإسكيم بالرشومات الثلاثة ويلبسه الراهب الناسك⁽⁴⁾.

وقد ذكر أنطونيوس مقار فيما نقله عن الأب مبارك الديرانمي في كتابه «الدليل الرهباني» الرموز التي يرمز لإليها ثياب الراهب بقوله: «اعلم يا أخي أن لكل ثيابك معنى، فالرداء إشارة إلى رداء إيليا النبي ورداء السيد المسيح، والثوب هو علامة لثوب الرب الذي أنت تابعه، وإن كان لونه أسود فهو إشارة على موتك عن العالم وأمور الدنيا الباطلة، أما القميص الأبيض فهو إشارة

(1) المرجع نفسه، ص 02.

(2) الأنبا متاؤس: إسكيم الرهينة أنواعه، تاريخه، شروط لبس الاسكيم، نقلا عن:

• www.ava-kyrillos.net.

(3) توما بيطار: مرجع سابق، ص 02.

(4) الأنبا متاؤس: مرجع سابق، ص 02.

على براءة نفسك ونقاء ضميرك وصلاح نيتك، أما الإسكيم الذي تستر به رأسك وظهرك فهو علامة على حماية الله لك ولكنيستة وصبغ النعم»⁽¹⁾.

والمستعمل حاليا في طقس الرهبنة العادي من قطع ثياب الرهبنة هي الثياب الطويل والقلنسوة وكلاهما من القماش الأسود، ثم منطقة الجلد، ويكون مظفورا عليها ثلاثة صلبان من الجلد أيضا⁽²⁾، ولمنطقة الجلد التي يلبسها الراهب منفعتان روحية وجسدية، أما المنفعة الروحية فتكمن في الصلبان المظفورة فيها وفي الوشم الذي يرشمها به الكاهن، فحينما يتمنطق بها الراهب في وسطه تقع تماما في مقابل مركز ايلغريزة الجنسية، فبقوة الرشوم والصلبان يحتفظ الراهب بطهارته ولا تثور عليه شهواته الجنسية، أما المنفعة الجسدية فهي تساعد على الصوم وتحمل الجوع، كما تساعد على عمل السجادات المتواترة⁽³⁾.

أما القلنسوة فهي ترمز إلى حفظ الراهب من هجمات العدو وأفكاره الشريرة، كما أنه يجب وشمها بعلامة الصليب قبل لبسها⁽⁴⁾.

والقلنسوة بشكلها الحالي الذي يشبه الخوذة التي يلبسها الجندي في الحروب لوقاية رأسه، ترمز إلى خوذة رجل الخلاص التي نصح بولس الرسول المؤمنين أن يلبسوها ضمن الأسلحة الروحية الكثيرة التي ذكرها لهم، وهي تفيد بأن يتعلق الراهب دائما برجاء الخلاص⁽⁵⁾، وأول من استعمل هذا النوع من القلنسوة في العصر الحديث البابا شنودة الثالث قبل ان يصير بطريكيا، وانتشرت خاصة في دير السريان والأنبا بيشوي وأصبحت تسلم للراهب الجديد عند رسامته ضمن الزي الرهباني بدل القلنسوة القديمة⁽⁶⁾.

المبحث الثالث: التجديد في مظاهر الحياة الرهبانية

لم يأت التجديد في الحياة الرهبانية هكذا وإنما كان لجملة أسباب وجملة

(1) أنطونيوس مقار إبراهيم: الإسكيم الرهباني رموزه وأبعاده الروحية،

• www.peregabriel.net/saintamaria/node/3498.

(2) الأنبا متاؤس: سمو الرهبنة، (مصر: بطريكية الأقباط الأرثوذكس، ط1، 1984)، ص150.

(3) الأنبا متاؤس: المصدر السابق، ص151.

(4) المصدر نفسه، ص151.

(5) المصدر نفسه، ص153.

(6) المصدر نفسه، ص153.

من الانتقادات التي وجهت للكنيسة في العصر الحديث، وذلك مع ظهور الإصلاحيين البروتستانت في القرن السادس عشر الذين شككوا في أصل الرهبانية وشرعيتها واعتبروها بدعة من البدع والهراطقات. فكان من جملة إفرافات الثورة الفرنسية قرار إلغاء النذور الأبدية وإغلاق الأديرة، فلم يبق منها إلا ما كان لها نشاط تعليمي، وكذلك الشأن بالنسبة لباقي الدول الأوروبية، فمنعوا الرهبانية مطلقاً⁽¹⁾.

وكان للإصلاح الرهباني في القرن السادس عشر دور بارز في تاريخ الرهبانيات وحدد المجمع التريدينيني منافع الرهبناات ونظم أملاكها وإدارتها الداخلية وجعل للأساقفة حق تفتيش الأديرة ومراقبتها، ونشأت رهبانيات حديثة تهتم بالوعظ والتعليم ومساعدة الفقراء والمرضى⁽²⁾.

ومع مطلع القرن التاسع عشر تأسست رهبانيات كثيرة تميزت أديرتها الحديثة بأعمال وأهداف علمية تنطبق مع روح العصر وقد أولى البابا بيوس التاسع جل جهده لإصلاح الرهبناات والعناية بها ولا سيما الدوميناكنية⁽³⁾، فظهرت بذلك محاولات لتجديد الرهبانية في الغرب، ففي فرنسا مثلاً أنشئ دير سولزم اشتهر باهتمامه بالدراسات التاريخية، وفي ألمانيا أيضاً تم تجديد دير بورون وكان على نفس الأديرة الفرنسية المجددة، وفي إيطاليا نشأت جماعة صوبياكو التي اهتمت بتنصير البوادي، ومع أواخر القرن التاسع عشر برزت مظاهر التجديد مع جماعة البندكسيين الذين ساندوا الكنيسة في الدول المستعمرة وعملوا على التنصير⁽⁴⁾.

في ظل هذه الظروف جاء انعقاد المجمع الفاتكاني الثاني من القرن العشرين عام (1962-1965م)، وذلك لإعادة النظر في كثير ممن المسائل المتعلقة بالكنيسة في ظل التغيرات الجديدة في العصر الحديث، وقد كانت الرهبانية أحد المواضيع التي تطرق لها المجمع تحت ما يسمى بالحديث عن

(1) محمد الدنكير: مرجع سابق، ص252.

(2) سوسن البيطار: الموسوعة العربية - الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد - الرهينة، المجلد 10،

• www.arab-ency.com.

(3) المرجع نفسه.

(4) Groupe des auteurs: *Dictionnaire de Spiritualité: Ascétique et Mystique: Doctrine et Histoire*, (Paris: Beauchesne, 1980), tome 10, p.1547.

«الحالة الدينية»، وكان للحديث عن الرهبانية نصيب في هذا المجمع، وذلك لتجديد الحياة الرهبانية وفق الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في العصر الحديث، وقد صدر القرار المجمعى الخاص بالرهبانية عام 1965م تحت ما يسمى بـ«قرار في التجديد الملائم للحياة الرهبانية».

ففيما يكمن هذا التجديد يا ترى؟ وهل البعد التجديدي كان في الأصول أم في الأعراض خاصة وأن التجديد عملية صعبة وهو ليس بالأمر السهل خاصة إذا تعلق الأمر بالشؤون الدينية؟.

إن عملية التجديد تقتضي العودة إلى الأصول للتمييز بين الجوهري والعرضي، ومن ثم التمسك بالعرضي بعد سكبه في قالب عصري ومناسب⁽¹⁾.
ونبدأ بالأسس الأولى للحياة الرهبانية المتمثلة في النذور الثلاثة:

• أولاً: نذر الفقر

الفقر من النذور الذي تعرض للنقد خاصة بعدما وصلت إليه الأديرة من غنى وأصبح الرهبان الذين نذروا الفقر أصحاب مزارع وأموال كثيرة، وأصبحت الأديرة من أغنى المؤسسات⁽²⁾، وعليه جاء قرار المجمع الفاتيكاني بمنع المؤسسات الرهبانية من امتلاك الأموال الطائلة وتكديسها والربح المفرط وكل أنواع الترف، ويقتصر امتلاكها إلا على ما يحتاج إليه الرهبان من أثاث، وما يحتاجونه في حياتهم اليومية وما يحقق أهدافهم في الحياة الرهبانية⁽³⁾.

• ثانياً: نذر العفة (البتولية)

أما بالنسبة لهذا النذر فقد تناوله المجمع، أين أكد على المحافظة عليها بصفة كاملة، والأمر الذي جددوا فيه هو وضع اختبار حقيقي للرهبان المتقدمون لحياة الرهبنة وذلك بترك أسلوب الترهيب والتحذير فيما يتعلق بنذر البتولية، وإقامة دورات تدريبية لمعرفة قدرات المتقدمين العقلية والنفسية على تحمل هذا النذر قبل قبولهم في سلك الرهبنة⁽⁴⁾.

(1) المجمع الفاتيكاني الثاني: دساتير، قرارات، بيانات، أشرف على الترجمة الأب حنا الفاخوري، (بيروت: منشورات المكتبة البولسية، ط3، 2012)، ص434.

(2) متى عبد المسيح البراموسي: البرهان المحسوس ضد الرهبنة وترمل القسوس، (مصر: المكتبة القبطية، ط1، 1919م)، ص26.

(3) المجمع الفاتيكاني الثاني: مصدر سابق، ص434.

(4) المصدر نفسه، ص432-433.

• ثالثاً: نذر الطاعة

من النذور التي تعرضت كثيراً للنقد نذر الطاعة، ذلك لأنه يسلب الإنسان حريته في ظل طاعة رئيس الدير بصورة مطلقة، هذه الطاعة التي أدت إلى ظلم وجور رؤساء الأديرة، بل وحتى طرد بعض الرهبان منها، مما أدى ببعضهم إلى ترك هذه الأديرة والحياة الرهبانية بأسرها، بل وحتى ترك الديانة إلى اعتناق الإسلام⁽¹⁾، ونذر الطاعة من أهم النذور التي انتقدها البروتستانت ضمن الدعوة إلى الحرية، ذلك أن الطاعة في الرهبة الكاثوليكية هي إلغاء للذات في نظر الإصلاحيين⁽²⁾.

ولقد جاء المجمع الفاتيكاني الثاني الذي أعاد النظر في نذر الطاعة بحيث قللوا من حدة تحكم رؤساء الأديرة في الرهبان وجعل العلاقة بينهم مبنية على أساس الأخوة والمحبة واحترام لشخص الراهب الإنساني، وجعل خضوعه خضوعاً طوعاً، ولا تكون العلاقة بينهم مبنية على الإلزام والأوامر والنواهي، فأعطى المجمع مجالاً للحرية الشخصية وتأكيد جانب المبادرة والتطوع بدل الأوامر والنواهي، كما أنها أعطت حق المناقشة وإبداء الرأي بين الرهبان والاشترك معاً للوصول معاً لما هو خير للجماعة الرهبانية كلها⁽³⁾.

• رابعاً: نذر العزلة

من النذور التي شهدت تجديداً واضحاً نذر العزلة، ذلك لأن الرهبان لم يبقوا منعزلين في الأديرة لأجل الصلاة والدعوات فقط، بل أحدثت تغييرات كبيرة، ومن أهم مظاهر التجديد في الخروج من العزلة وذلك عن طريق انفتاح الحياة الرهبانية على العالم وذلك من خلال معرفة التوجهات الفكرية في البيئة التي يعيشون فيها حتى يكون تأثيرهم ذا فعالية⁽⁴⁾.

وقد ظهرت أشكال جديدة من الرهبانية في بيت لحم، وقد تأسست في باريس عام 1975م لتنتشر بعدها في عدة عواصم أوروبية حيث يعيشون حياتهم منفصلين عن بعضهم ولا يجتمعون إلا في أوقات الصلوات الثلاثة، كما أنهم

(1) القس متى عبد المسيح الراموسي: مصدر سابق، ص 41-44.

(2) محمد الدنكير: مرجع سابق، ص 268.

(3) المجمع الفاتيكاني الثاني: مصدر سابق، ص 434-435.

(4) محمد الدنكير: مرجع سابق، ص 254.

وهم مختلطون وإن لم يعهد هذا النوع من الاختلاط في الأديرة الرهبانية⁽¹⁾. كما أنهم يندرون النذور الثلاثة إلا أنهم لا يندرون الاستقرار في الدير، فهم يمارسون حياتهم العملية اليومية بصورة عادية سواء دراسة أو عمل، فهم يخالطون المجتمع ولهم أنشطة اجتماعية مختلفة، وقد شهدت انضمام شباب مسيحيون إليها لأنها جمعت بين حياة الرهينة التعبدية والحياة النشطة بعدم مقاطعة العالم الحديث والانعزال عن المجتمع فهي «رهبانية مصبوغة بصيغة عصرية»⁽²⁾.

ومما يدل على خروج الرهبان من حياة العزلة، مشاركة الأديرة والرهبان في مختلف العالم المسيحي في الحوار بين الأديان، حيث تأسست جمعية الحوار بين الأديان في أوروبا ومقره بلجيكا، وذلك بهدف التفاهم والتعايش⁽³⁾، هذا الحوار الذي يعد شكلا آخر من الأنشطة التنصيرية، فهو لا يخرج عن هدف الحوار الذي رسمته الكنيسة التي تقول عنه: «الحوار بين الأديان جزء من المهمات التبشيرية للكنيسة فالتنصير والحوار يؤديان إلى إيصال الحقيقة الخلاصية... وكذلك على المعلمين المسيحيين الذين مهمتهم الأولية هي التبشير بالإنجيل أن يكونوا متفتحين مستعدين وملتزمين بهذا الحوار، يجب مساعدتهم لفهم قيمته وتحقيقه مع الأخذ بعين الاعتبار بإرشادات القيادة...»⁽⁴⁾.

كما دعا الفاتكان عام 1973م الرهبان إلى المساهمة في مجال الاتصالات والإعلام مذكرا إياهم بأن هذه المهمة هي من صميم مهمتهم في الدعوة، خاصة في ظل انتشار سهول الاتصال مع الانترنت، حيث جاء بيان عن دعم الكنيسة للنشاط على الأنترنت، وعليه جاءت الأنشطة التي يقوم بها الرهبان

Michel Cool: *Messagers du Silence*, (France: Albin-Michel, 2008), p.208. (1)

نقلا عن محمد الدنكير: مرجع سابق، ص 254.

Ibid, p.209 (2)

نقلا عن محمد الدنكير: مرجع سابق، ص 254.

الموقع الرسمي للجمعية بسبع لغات (3)

• www.dimmid.com.

http://www.vatican.va/roman_curia/pontifical_councils/pccs/documents/rc_pc_pccs_doc_20020228_ethics-internet_fr.html. (4)

في الأديرة بصورة متنوعة على الشبكة العنكبوتية، كما نجد أيضا مواقع رسمية للجماعات الديرية وهي كثيرة ومتنوعة.

اللباس الرهباني:

ذكر المجمع بأن الثوب الرهباني هو بمثابة علامة التكريس لله، وعليه فيجب أن يكون بسيطا وفقيرا ومحتشما، ويكون بما يتفق و أحوال المكان والزمان، وما تستلزمه عمل الخدمة الرسولية، وعليه فإذا كان الثوب على غير هذه الشروط يجب تعديله، سواء ذلك في الثوب الرجالي أو النسائي على حد سواء⁽¹⁾.

هذا ما جاء في قرار التجديد في شأن الحياة الرهبانية في المجمع الفاتيكاني الثاني، والملاحظ أن النذور الرهبانية الثلاثة المتمثلة في الفقر والعفة والطاعة لم تعرف تجديدا بالمعنى الحقيقي، بل بقيت على حالها من الناحية الاعتقادية، ذلك لأن الرهبان لا يزالون يؤدون هذه النذور عند اختيارهم للحياة الرهبانية، وإن كان البروتستانتيون لا يلتزمون بنذر الفقر والبتولية والطاعة السلبيّة التي تلغي حرية الأشخاص.

إن قيم الرهبانية من الزهد والتعبد والروحانية قد جعلها البروتستانت عامة في حياة كل مسيحي، فهي تعد جزء من تدينه وهو ليس شيئا خاصا بفئة معينة مسورة من وراء جدران الأديرة⁽²⁾.

غير أن هناك تغيير نسبي في العصر الحديث في الموقف البروتستانتي، وإن كان ليس على مستوى جميع البروتستانت، حيث ظهرت جماعات تطلق على نفسها إسم جماعة «الدياكونيس» والتي تعني «الخدمة»، حيث نذرت نفسها للعبادة والخدمة الاجتماعية بمختلف أشكالها، وقد لقيت معارضة منذ البداية لأنهم رأوا فيها هدم للجهود التي بذلت في نقد الكاثوليكية عموما، والرهبانية بصفة خاصة، واعتبروها مناقضة للدعوة الإصلاحية، غير أن أنصار هذه الجماعات كتبوا مبينين اختلافهم الجوهرى عن الرهبانية الكاثوليكية وإن بدا اتفاقهم في بعض المظاهر⁽³⁾.

فقد كتب الدكتور ميشيل كلمنت عن هذه الجماعات في فرنسا، متوصلا

(1) المجمع الفاتيكاني الثاني: مصدر سابق، ص 436.

(2) محمد الدنكير: مرجع سابق، ص 268.

(3) محمد الدنكير: مرجع سابق، ص 268.

إلى أن هذه الجماعة ترفض الطبقة الكاثوليكية التي تفرق بين العوام ورجال الدين، لأنهم يروا بأن الحياة الروحية هو نهج كل مسيحي وليست هي التي ميزتهم عن غيرهم، غايتهم في ذلك الرجوع إلى العهد الأول في اشتراك الأموال وتنظيم الكنيسة وخدمة الفقراء، كما أنها مفتوحة على العالم غير معزولة عنه، وهو ما عبر عنه الباحث بأن ما تقوم به هذه الجماعات هو «علمنة الرهبنة»⁽¹⁾.

كما أنهم يندرون النذور الثلاثة من باب العهد والالتزام في عموم النذر، الذي هو مشروع في الكتاب المقدس، فالبتولية عندهم ليست أفضل من الزواج كما يقول الكاثوليك، والفقر بمعنى «الشركة» التي قام بها الرسل من أجل حياة جماعية مشتركة، وأما الطاعة فهي مبنية على المحبة وليس إلغاء الذات مع إضافة حرية هذه النذور، إذ ليس فيها أغلال الكاثوليك بمعنى حرية الالتزام بها دخولا وخروجاً، فهذه الدعوة جاءت لتغطية حاجة النقص في حياتهم الروحية خاصة مع طغيان الحياة المادية في البلاد الغربية⁽²⁾.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث نخلص إلى النتائج التالية:

- أن التجديد لم يمس الحياة الرهبانية بأكملها، وإنما اقتصر على بعض الأسس والمبادئ فقط كالعزلة مثلاً، فالنذور الثلاثة الأولى والتمثلة في الفقر والبتولية والطاعة بقيت على حالها في التزام الراهب بها وبالنذر بها في حالة اختيار حياة الرهبنة، وإنما حدث هناك نوع من التغيير.
- ففي نذر البتولية أصبح هناك مرحلة اختبار للراهب قبل دخوله الدير.
- أما بالنسبة للطاعة فلم تبق بالحدة والسيطرة التي كانت عليها في السابق، فأصبح إبداء الرأي فيما بين الرهبان في الدير في خدمة الصالح العام، وحل محل الطاعة التي كان معها إلغاء الذات بعض من الحرية في إبداء الرأي، وأصبحت بذلك العلاقة مبنية على احترام الأشخاص والخضوع الطوعي لا على إصدار الأوامر والنواهي.

Michel Clement: *Quelques Règles Monastiques Protestantes*, (1) (Montréal: Université du Québec, 2006), p1-67, www.er.uqam.ca/nobel/k33440/rp.

(2) المرجع نفسه، ص 13.

- أن مبدأ العزلة من النذور التي عرفت تغييراً جذرياً، حيث لم يعد الرهبان يعيشون في عزلة تامة في الأديرة كما هو الحال في سابق العهد، وإنما أصبح لهم نشاطات اجتماعية عدة، كما نجد لهم مواقع على الأنترنت للتواصل وممارسة نشاطهم التنصيري.
- في ظل الخروج من العزلة ظهرت في العصر الحديث أشكال جديدة من الرهبانية التي حاول أصحابها التكيف مع العصر ومتطلبات الحياة الحديثة من جهة وملاً حاجاتهم إلى الحياة الروحية من جهة أخرى، خاصة في هذا العصر الذي غلبت عليه الماديات. ■

قائمة المصادر والمراجع بالعربية والأجنبية

- الكتاب المقدس (بيروت: دار المشرق، ط3، 1994م).
- 1- المعاجم والقواميس والموسوعات:
1-1 بالعربية:
• مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة: دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، د.ط، د.ت).
- ابن منظور: لسان العرب، (دم: دار المعارف، ط، 1989م).
- توما بيطار: القاموس المختصر للمفردات الرهبانية، (لبنان، عائلة الثالث القدوس، د.ط، د.ت).

2-1 بالأجنبية:

- Nouveau Petit Larousse, (Paris: librairie Larousse, 1970).
- Groupe des auteurs: Dictionnaire de Théologie Catholique, (Paris: librairie Litouzey et Ané, 1946).
- Groupe des auteurs: Dictionnaire de Spiritualité: Ascétique et Mystique: Doctrine et Histoire, (Paris: Beauchesne, 1980).

2- المصادر والمراجع:

- أحمد علي عجيبة: الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط1، 2004).
- بطرس البستاني: محيط المحيط، (بيروت: مكتبة لبنان، ط، 1977م).
- حكيم أمين: دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية، (القاهرة:

در، ط، 1963).

- حنين عبد المسيح: بدعة الرهينة، (دم: در، ط 1، 2009).
- راهب من برية شهيت: جوهر الحياة الرهبانية، مراجعة الأنبا إيسوذورس، (مصر: دار نوبار للطباعة، ط 1، 2001).
- رؤوف حبيب: تاريخ الرهينة والديرية في مصر، (مصر: مكتبة المحبة، د.ط، د.ت).
- زكريا السرياني: بركات الحياة الرهبانية، مراجعة الأنبا متاؤس، (مصر: مطبعة أمبريال عابدين، د.ط، 2008).
- علي عبد الواحد وافي: غرائب النظم والتقاليد والعبادات، (مصر: دار نهضة مصر، د.ط، 1984).
- الأنبا غريغوريوس: موسوعة الأنبا غريغوريوس، ج 3.
- الأنبا متاؤس: سمو الرهينة، (مصر: بطريكية الأقباط الأرثوذكس، ط 1، 1984).

- متى المسكين: الرهينة القبطية في عصر الأنبا مقار، (مصر: مطبعة دير القديس أنبا مقار، ط 4، 2006).
 - متى عبد المسيح البراموسي: البرهان المحسوس ضد الرهينة وترمل القسوس، (مصر: المكتبة القبطية، ط 1، 1919م).
 - الأنبا يؤانس: مذكرات في الرهينة المسيحية، (دم: در، د.ط، د.ت).
 - لجنة التاريخ القبطي: تاريخ الأمة القبطية، (دم: در، ط 2، 1922).
 - المجمع الفاتيكاني الثاني: دساتير، قرارات، بيانات، أشرف على الترجمة الأب حنا الفاخوري (بيروت: منشورات المكتبة البولسية، ط 3، 2012).
- 3- بالأجنبية:

• Adalbert de Vogüé: Le Monachisme en Occident Avant Saint Benoit), Bégrolles-en-Mauges: Abbaye de Bellefontaine, (1998).

• Frédéric Auguste Lichtenberger: Encyclopédies des Sciences Religieuses, (Paris: G.Fischbacher, 1881).

• Léo Moulin: La Vie Quotidienne des Religieux au Moyen Âge: Xe-XVe siècle, (Paris: Hachette, 1978).

• Michel Cool: Messagers du Silence, (France: Albin-Michel, 2008).

• Vincent Desprez: Le Monachisme Primitif Des Origines jusqu'au Concile d'Ephèse, (Bégrolles-en-Mauges: Abbaye de Bellefontaine, 1998).

• Vincent Desprez, Adalbert de Vogüé: Règles Monastique d'occident IV^e-VI^e Siècle, (Bégrolles-en-Mauges: Abbaye de Bellefontaine, 1980).

4- الدوريات والرسائل الجامعية:

محمد بن أحمد الدنكير: الرهبانية عند النصارى، دراسة نقدية في ضوء الإسلام، إشراف عبد الله حسن علي بركات، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة من جامعة أم القرى بالسعودية.

5- مواقع الإنترنت:

• الأنبا متاؤس: إسكيم الرهبنة - أنواعه، تاريخه، شروط لبس الاسكيم،
www.ava-kyrillos.net.

• أنطونيوس مقار إبراهيم: الإسكيم الرهباني رموزه وأبعاده الروحية،
www.peregabriel.net/saintamaria/node.3498/

• سوسن البيطار: الموسوعة العربية - الفلسفة وعلم الاجتماع والعقائد -
الرهبنة، المجلد 10،

www.arab-ency.com.

• الموقع الرسمي للجمعية بسبع لغات

www.dimmid.com.

• Albert patriarche de Jérusalem: règle primitive de l'ordre du carmel ,P3,

http://www.carmelitaniscalzi.com/activos/texto/wcarne_informacion_adicional-1069_rjZzeCkfEylFnJmg.pdf.

• http://www.vatican.va/roman_curia/pontifical_councils/pccs/documents/rc_pc_pccs_doc_20020228_ethics-internet_fr.html.

• Michel Clement: quelques règles monastiques protestantes (Montréal: Université du Québec, 2006),p.1-67

www.er.uqam.ca/nobel/k33440/rp.